

الخطبة المكية

إمْتِدَادُ الْبَلَاءِ يُونُسُ بْنُ عُفَيْرٍ

مَنْقُولٌ مِنَ التَّحْقِيقِ الصَّوْتِيِّ لِلشَّيْخِ الْكَبِيرِ
صَالِحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدٍ الْعُصَيْمِيِّ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِأَسْرَائِهِ وَلِأُمَّتِهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ.
وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٠٢] ﴿آل

عمران].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا

كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۖ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١] ﴿النساء].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ

لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] ﴿الأحزاب].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ: كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ: هَدْيُ مُحَمَّدٍ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ: مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

أيُّها المؤمنون!

اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ، وَاعْلَمُوا أَنَّ التَّقْوَى هِيَ مَرْكَبُ غَنِيْمَتِكُمْ فِي الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ.

وَاعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لِكَمَالِ مَلَكُوتِهِ، وَتَمَامِ رُبُوبِيَّتِهِ، وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ - يُجْرِي عَلَى خَلْقِهِ مَا شَاءَ مِنْ أَنْوَاعِ الْإِبْتِلَاءِ.

قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى - : ﴿وَنَبَلُوكُم بِالْأَشَرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿وَبَلَوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا بَلَاءٌ وَفِتْنَةٌ» ^(١).

وَأَنْوَاعُ مَا يَبْتَلِي اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهِ خَلْقَهُ كَثِيرَةٌ، وَقَدْ يُنْزِلُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ بِهِمْ بَلَاءً، ثُمَّ يُطِيلُ ذَلِكَ الْبَلَاءَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ أَطَالَ بَلَاءَهُ بِأَشْرَفِ خَلْقِهِ الَّذِينَ هُمْ الْأَنْبِيَاءُ، فَكَيْفَ بغيرهم؟!

وَقَدْ سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ» ^(٢).

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٣٥) من حديث معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٩٨) وابن ماجه (٤٠٢٣) من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فهذا أَيُّوبُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نَزَلَ بِهِ الْبَلَاءُ حَتَّى فَقَدَ الْمَالَ وَالْوَلَدَ، وَالْمَجْدَ وَالتَّلَدَ، وَأَضْنَاهُ حَتَّى جَارَ إِلَى رَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَنِّي مَسْنِي الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، وَكَانَتْ مُدَّةُ بَلَاءِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ثَمَانِيَةَ عَشَرَ عَامًا.

وَابْتُلِيَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِفَقْدِ ابْنِهِ يُوسُفَ حَتَّى ابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ، ﴿وَقَالَ يَأْسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَأُبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤]، وَكَانَتْ مُدَّةُ بَلَاءِهِ فِي فَقْدِ ابْنِهِ يُوسُفَ: أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَقِيلَ: ثَمَانِينَ سَنَةً.

وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُطِيلُ بِالْخَلْقِ نَوْعًا مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ مَنَافِعَ عَظِيمَةٍ.

وَمِنْ جَمَلَةِ تِلْكَ الْمَنَافِعِ: إِظْهَارُ قُوَّةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَعِزَّتِهِ وَمَنْعَتِهِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

فَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الَّذِي يَتَصَرَّفُ فِي خَلْقِهِ بِمَا يَشَاءُ، ﴿يُدَبِّرُ الْأُمُورَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥].

فَيُظْهِرُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قُوَّتَهُ وَعِزَّتَهُ وَمَنْعَتَهُ، وَكَمَالَ مُلْكِهِ وَتَصَرُّفِهِ بِالْخَلْقِ، بِإِطَالَةِ أَمَدِ الْبَلَاءِ فِيهِمْ؛ فَرُبَّمَا جَعَلَهُ سَنَةً أَوْ سَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ؛ لِتَخْلَصَ قُلُوبُهُمْ مِنَ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى كُلِّ قَوِيٍّ سِوَاهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ومنها: قَمَعَ طُغْيَانِ الْإِنْسَانِ، وإظهارُ ضَعْفِهِ؛ قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَحَمَلَهَا

الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

وقال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾ [العلق: ٦] ﴿أَن رَّاهُ اسْتَغْنَى﴾ [العلق: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْأَلْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ

وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣]؛ وكان هذا مثلاً لأهل الجاهلية الذين يُدركون معنى الذُّباب، ولا يُدركون حقائق الفيروسات.

واليوم يُبتلى الناس بفيروسي لا يرونه، وهو لا يسألهم ما يسألهم الذُّباب؛

بل يسألهم قواهم وصحتهم؛ فربما أضناهم المرض، وربما كان سبباً لوفاتهم؛ ليعلم الإنسان عجزه وضعفه، وعدم قدرته على مجاراة ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأنَّ (الإنسان السُّورُومَان!) خرافة؛ فهو غير قادرٍ على مُحَاذَاةِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ومنها: أَنْ يَرْجِعَ الْعَبْدُ إِلَى رَبِّهِ بِإِظْهَارِ أَنْوَاعِ الْعُبُودِيَّاتِ، الَّتِي لَا تَظْهَرُ مِنْهُ فِي

غَيْرِ مُدَّةٍ إِطَالَةِ الْبَلَاءِ، وَقَدْ صَارَ مُضْرُوبًا مِنَ الْمَثَلِ صَبْرُ أَيُّوبَ وَيَعْقُوبَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

فيكون من آثار تطويل مُدَّةِ الْبَلَاءِ: أَنْ تَكْثُرَ أَنْوَاعُ الْعُبُودِيَّاتِ مِنَ النَّاسِ؛ تَوْبَةً

إِلَى اللَّهِ، وَتَوَكُّلاً عَلَيْهِ، وَدَعَاءً لَهُ، وَصَبْرًا عَلَى مَا نَزَلَ بِهِمْ مِنَ الْبَلَاءِ؛ فَهَذِهِ أُمُورٌ عَظِيمَةٌ مِنَ الْمَنَافِعِ الْجَلِيلَةِ الَّتِي تَظْهَرُ فِي تَطْوِيلِ الْبَلَاءِ.

ومنه: ما حَلَّ بالنَّاسِ مِنْ تطويل مُدَّةِ هذا البلاءِ النَّازلِ بِهِم بِالوباءِ الْمُتَشِيرِ بينهم، وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يُضَعِّفُهُ تَارَةً، وَيُقَوِّيه تَارَةً؛ لِتَظْهَرَ جَمَلَةُ مِنَ الْمَنَافِعِ الَّتِي ذَكَرْنَا وَغَيْرَهَا.

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَلِيِّ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.



الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، رب السماوات ورب الأرض، رب العرش العظيم، وأشهد ألا إله إلا الله معبودًا حقًا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صدقًا.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيدٌ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيدٌ.

أما بعد:

أيها المؤمنون!

إنَّ هذا الوباء النّازل بالنّاس يُدفع بأسبابٍ عديدة:

منها: تلك الأسباب الحسيّة القدريّة؛ كلبس النّاس للكمّات، وحرصهم على نظافة أيديهم، والتّباعد بينهم، إلى غير ذلك من الأسباب الحسيّة الظّاهرة، الّتي ينبغي أن يتّخذها الإنسان؛ لِمَا فيها من حفظ نفسه، وحفظ نفوس الآخرين، وطاعة وليّ الأمر في ذلك.

ووراء هذه الأسباب أسبابٌ أعظم: من الرّجوع إلى الله سبحانه وتعالى،

والتَّوَكَّلِ عليه، وتَفْوِيضِ الأمرِ إليه، ودَعَائِهِ، والتَّوْبَةِ من المعاصي والسَّيِّئَاتِ؛ فَإِنَّهُ يَنْبَغِي للعبد أَنْ يَتَحَرَّى هذه الأمورَ كما يَتَحَرَّى الأسبابَ الظَّاهِرَةَ الحِسِّيَّةَ.

وقد قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَبَلَّوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

[الأعراف: ١٦٨].

فينبغي أَنْ يَعْلَمَ المَرْءُ، أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَا يَنْبَغِي اتِّخَاذُهُ مِنَ الْأَسْبَابِ: الْأَسْبَابَ الشَّرْعِيَّةَ الدِّينِيَّةَ، وَمِنْ جَمَلَتِهَا: التَّوْبَةُ إِلَى اللَّهِ، وَالِاسْتِكْثَارُ مِنَ الْحَسَنَاتِ، وَالصَّدَقَةُ، وَالِدُّعَاءُ، وَذِكْرُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فاحرصوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى تَحَرِّيِ هَذَيْنِ النَّوعَيْنِ مِنَ الْأَسْبَابِ:
(الأسباب الدِّينِيَّةَ الشَّرْعِيَّةَ، وَالْأَسْبَابَ الْحِسِّيَّةَ الْقَدَرِيَّةَ الْكُونِيَّةَ)؛ فَإِنَّ هَذَا وَهَذَا كِلَاهُمَا مِمَّا أَمَرَ بِهِ الشَّرْعُ؛ وَفِي ذَلِكَ خَيْرٌ لِلنَّاسِ، وَزَكَاةٌ لِنَفُوسِهِمْ، وَطَهَارَةٌ لَهَا.

اللَّهُمَّ احْفَظْنَا بِالْإِسْلَامِ قَائِمِينَ، وَاحْفَظْنَا بِالْإِسْلَامِ قَاعِدِينَ، وَاحْفَظْنَا بِالْإِسْلَامِ نَائِمِينَ.

اللَّهُمَّ ارْفَعْ عَنَّا الْوَبَاءَ، اللَّهُمَّ ارْفَعْ عَنَّا الْوَبَاءَ، اللَّهُمَّ ارْفَعْ عَنَّا الْوَبَاءَ.
اللَّهُمَّ آتِ نَفُوسَنَا تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا.
اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى، وَالتَّقَى، وَالْعَفَافَ، وَالْغِنَى.

اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ، وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ
وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الرَّاشِدِينَ.

